معارف
ISSN 1112-7007
EISSN 6804 -2600
المجلد 17/ العدد 2 (ديسمبر 2022): ص.ص:620-632

النقد الثقافي عند عبد الله الغذامي /مسارات وانتقادات

Cultural criticism according to Abdullah Al-Ghadhami / paths and criticisms

د. سعيـدة تومي[1] * د. مصطفى البشير قط[2].

[1]جامعة البويرة، الجزائر، s.toumi@univ-bouira.dz

[2]جامعة المسيلة، الجزائر، mostefaelbachir.gatt@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2021/12/05؛ تاريخ القبول: 2022/12/31؛ تاريخ النشر:2022/12/31

ملخص:

يسعى النقد الثقافي إلى لمّ تشعبات وتداخلات أنساق ثقافية معاصرة لمرجعيات مختلفة، قصد التعرف على لغة نقدية جديدة تنتصر لمفهوم نظري وإجرائي، أخذ يتجذر في الممارسة الثقافية النقدية العربية المعاصرة. إن مفهوم النقد الثقافي لا يقتصر على النقد بل قد يمتد إلى الأدب الذي هو في جوهره نص ثقافي. من هنا كان لابّد علينا أن نتساءل: هل القصد إلغاء المنجز النقدي الأدبي، أم تحويل الأداة النقدية من أداة في قراءة الجمالي الخاص وتبريره وتسويقه بغض النظر عن عيوبه النسقية إلى أداة في نقد الخطاب وكشف أنساقه الثقافية ؟

يعدّ الباحث عبد الله الغذامي أكثر النقاد العرب الذين تبنوا فلسفة النقد الثقافي، وعنوا بتطبيق آلياته ومبادئه على الثقافة العربية كما يعدّ كتابه "النقد الثقافي/ قراءة في الأنساق الثقافية العربية" كتابا مثيرا حيث تولى بجرأة طرح فكرة النقد الثقافي طرحا جدّيا، كما أصل لهذه الفكرة نظريا ومعرفيا وممارسة، ما أسال الكثير من الحبر تعليقا وتعقيبا وتحليلا في الساحة النقدية المعاصرة وهذا ما سنحاول استعراضه في هذا المقال..

الكلمات المفتاحية: النقد الثقافي؛ عبد الله الغذامي؛ النقد الأدبي؛ ميزان النقد.

* المؤلف المرسل

Abstract:

Cultural criticism seeks to unite the ramifications and overlaps of contemporary cultural systems of different references, in order to identify a new critical language that triumphs for a theoretical and procedural concept that has taken root in contemporary Arab cultural critical practice. The concept of cultural criticism is not limited to criticism, but may extend to literature, which is in its essence a cultural text. From here we had to wonder: Is the intention to abolish the literary critical achievement, or to convert the monetary tool from a tool for reading, justifying and marketing the private aesthetic, regardless of its systemic defects, to a tool in the criticism of discourse and revealing its cultural patterns? The researcher Abdullah Al-Ghadhami is considered the most Arab critics who adopted the philosophy of cultural criticism, and meant the application of its mechanisms and principles to Arab culture. His book "Cultural Criticism / Reading in Arab Cultural Systems" is an exciting book where he took on boldly the idea of cultural criticism seriously, as I originate for this idea In theory, knowledge and practice, I ask a lot of ink to comment, comment and analyze in the contemporary critical arena, and this is what we will try to present in this article.

Keywords: cultural criticism; Abdullah Al-Ghadhami; literary criticism; balance of cash

المقدمة:

إنّ الخطاب الأدبي في تجدد دائم متوافقا في ذلك مع توقيعات الخطاب النقدي، فالنقد غالبا ما يوّجه المبدع إلى البؤر الجوهرية التي تحفظ كينونة الخطاب الأدبي، كما يحفزّ الكاتب على التفكير فيما يريد قوله وكتابته، وهنا تتعالى مفارقة غريبة بين ما يفكّر فيه الأديب وما يكشفه الناقد في مَقوله.

وهذه الاستمرارية الفاعلة للخطاب النقدي تجعل منه خطابا زاخرا بالمقاربات والقراءات المختلفة باختلاف زوايا النظر إلى الخطاب الأدبي، ومن فجوات النقد الأدبي يمكننا الولوج إلى فضاء الدرس الثقافي الذي يبحث في ما وراء المكوّن النصي عبر بوابة

المضمر النسقي الكامن وراء التركيبات البلاغية والجمالية.

لقد انبثق النقد الثقافي «مستبدلا البنية الأدبية أو الفنية المنغلقة على نفسها في حالات الإبداع المتباينة الأشكال والأنواع بالبنية المفتوحة على ثقافتها المتفاعلة معها». [1] وبذلك فهو يفتح الأفق واسعا أمام النص، ليقدّم النص باعتباره نصا ثقافيا بجدارة، يكشف عن أنساقه المضمرة وتجلياتها المختلفة.

1. النقد الثقافي / مسارات وتجليات: يسعى النقد الثقافي -كطرح جديد-إلى تحليل النصوص والخطابات الأدبية والفنية والجمالية في ضوء معايير ثقافية وسياسية واجتماعية وأخلاقية، بعيدا عن المعايير الجمالية والفنية. وبالتالي يعنى النقد الثقافي بالمؤلف، والسياق والمقصدية والقارئ والناقد. ومن ثم فالنقد الثقافي نقد إيديولوجي وفكري وعقائدي، وهو فعل الكشف عن الأنساق وتعرية الخطابات المؤسساتية، والتعرف على أساليبها في ترسيخ هيمنتها، وفرض شروطها على الذائقة الحضارية للأمة[2].

إن مفهوم النقد الثقافي لا يقتصر على النقد بل قد يمتد إلى الأدب الذي هو في جوهره نص ثقافي. ومع ذلك «ليس القصد هو إلغاء المنجز النقدي الأدبي، وإنّما الهدف هو في تحويل الأداة النقدية من أداة في قراءة الجمالي الخاص وتبريره وتسويقه بغض النظر عن عيوبه النسقية إلى أداة في نقد الخطاب وكشف أنساقه، وهذا يقتضي إجراء تحويل في المنظومة المصطلحية»[3].

تأسيسا على ذلك يكتسي النقد الثقافي طابع التكامل فهو « لا يرفض الأشكال الأخرى من النقد، وإنّما هو يرفض هيمنتها منفردة أو هيمنة نوع منها منفردا، إذ يعني ذلك قصورا في الكشف عن الكثير من العلامات الدالة في سياق النصوص» [4].

ينبني النقد الثقافي على نظرية الأنساق المضمرة، وهي أنساق ثقافية وتاريخية

---

(1)- جابر عصفور، في محبة الأدب، مكتبة الأسرة، مصر- 2003- ص15.

(2)- ينظر: جميل حمداوي- النقد الثقافي بين المطرقة والسندان- مقال نقدي في الموقع الالكتروني http//www.diwanalarab.com نشر بتاريخ 2012/07/08.

(3)- عبد الله الغذامي، النقد الثقافي / قراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي- المغرب، ط3 - 2005- ص8.

(4)- مصطفى الضبع- أسئلة النقد الثقافي- مؤتمر أدباء مصر في الأقاليم، مصر - 2003، ص10.

تتكون عبر البيئة الثقافية والحضارية، وتتقن الاختفاء تحت عباءة النصوص، كمالها دور سحري في توجيه الثقافة وذائقتها، إنّه يتعامل مع النص على أنّه «حادثة ثقافية وليس مجتلى أدبيا فحسب» [1]. فلم يعد النظر إلى النظام الداخلي للغة وحده كافيا في البحث عن معنى النص، لأن التحليل اللغوي لا يقدّم إلا المعنى الحرفي كما يعيد ذاته في كلّ مرّة في حين يبقى ما يحمله من مضامين اجتماعية وأعراف تاريخية وسياسية ونظم اقتصادية بعيدة عن التحليل والمعالجة.

إنّه لا يرصد الظاهرة آنيا بل ينقب عن جذورها ويكشف عن ارتباطاتها الفكرية والسياسية والاجتماعية والدينية والاقتصادية والتاريخية وما إلى ذلك ولا يقف عند حدود المعالجة أو النظرة السطحية التي تمس ظاهر الأشياء بل يوغل في تحليل الظاهرة واستخراج كوامنها والكشف عن أنساقها الخفية. لذا فهو لا يستوقفه جمال الظاهرة بقدر ما يسعى إلى اكتناه دواخلها وسبر أغوارها والوصول إلى ما يستقر فيها[2]، وما تعبّر عنه من أنساق مضمرة داخلها.

يشكّل مفهوم النسق محورا مركزيا في مرجعيات النقد الثقافي، إنّه مجموعة من الأجزاء المترابطة والمتكاملة التي تشكّل كلاّ واحدا أو نظاما موّحدا، إنّه «مجموعة القوانين والقواعد العامة التي تحكم الإنتاج الفردي للنوع وتمكنه من الدلالة، ولمّا كان النسق تشترك في إنتاجه الظروف والقوى الاجتماعية والثقافية من ناحية، والإنتاج الفردي للنوع من ناحية أخرى، وهو انتاج لا ينفصل هو الآخر عن الظروف الاجتماعية والثقافية السائدة، فإنّ النسق ليس نظاما ثابتا وجامدا. إنّه ذاتي التنظيم من جهة ومتغير يتكيّف مع الظروف الجديدة من جهة ثانية. أي إنّه في الوقت الذي يحتفظ فيه ببنيته المنتظمة يغيّر ملامحه عن طريق التكيّف المستمر مع المستجدات الاجتماعية والثقافية»[3].

(1) - عبد الله الغذامي، النقد الثقافي / قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص65.

(2) - ينظر : عبد الله حبيب التميمي/ سحر كاظم حمزة الشجيري، سيرورة النقد الثقافي عند الغرب، مجلة جامعة بابل - العلوم الإنسانية، المجلد 22-ع1-2014- ص 161.

(3)- عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة / من البنيوية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة - المجلس الوطني للثقافة والفنون، العدد252- الكويت -1997- ص 193-194.

لم يُمرر الغذامي التعريف السائد للنسق على أنه النظام System أو كل ما هو على نظام واحد، وذلك حين أضاف إلى عناصر النموذج اللغويّ التي حددها ياكبسون في ستة عناصر هي: (المرسل والمرسل إليه والرسالة والسياق والشفرة وأداة الاتصال) وجعل وظائفها على التوالي (وجدانية ذاتية، وإخبارية نفعية، وجمالية شاعرية، ومرجعية، ومعجمية وتنبيهية) ليكون العنصر السابع هو النسق، ووظيفتهُ نسقية، وهو بذلك يجعل "النسق" مقابلًا "للدال" في النقد الأدبي[1].

كما يؤكد على أهمية النسق كمفهوم مركزي في مشروعه النقدي، ويكتسب عنده قيّما دلالية وسمات اصطلاحية خاصة يحددها فيما يأتي[2]:

✓ يتحدد النسق عبر الوظيفة النسقية التي لا تحدث إلا في مقام محدد ومقيّد.

✓ تقرأ النصوص والأنساق من وجهة نظر النقد الثقافي، هذا يعني أنّ هذه النصوص تعبّر عن حالات ثقافية وليست فحسب نصوصا أدبية وجمالية لذلك تعدّ الدلالة النسقية في النصوص الأدبية الأصل في الكشف والتأويل، دون نفي وجود دلالات أخرى صريحة وضمنية، والتسليم بوجود قيّم فنيّة وغيرها من القيّم النصوصية التي لا تلغيها الدلالة النسقية وليست بديلة عنها. ويرى الغذامي في هذه القيّم أقنعة تختبئ خلفها الأنساق الثقافية.

✓ إنّ النسق بكونه دلالة مضمرة في النصوص ليس من صنع المؤلف، ولكنّه منغرس في الخطاب ومن صنع الثقافة ومستهلكوه جماهير اللغة من كتّاب وقرّاء: صغار وكبار، نساء ورجال، مهمّش ونخبوي.

✓ إنّ النسق ذو طبيعة سردية وهو خفي ومضمر قادر على الاختفاء دائما ويستخدم أقنعة كثيرة منها قناع الجمالية اللغوية البلاغية.

✓ الأنساق الثقافية هي أنساق تاريخية أزلية راسخة، تدفع الجمهور إلى استهلاك المنتوج الثقافي المنطوي تحت هذا النوع من الأنساق.

(1)- ينظر: عبد الله الغذامي، النقد الثقافي / قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص66.

(2)- ينظر : المرجع نفسه - ص77-81.

إنّ هذه القيّم والسّمات -التي حدّدها الغذامي-تعد ركائز يتم من خلالها التميز بين أصناف الخطاب لأنّها تأخذ بالدلالة النسقية كبديل مختلف عن الدلالات الصريحة والضمني، تأخذ بالجملة الثقافية كبديل عن الجمل النحوية والأدبية. هذه الدلالات النسقية والجمل الثقافية كثيرا ما تتدخل في توجيه الأفكار والسلوك وتحدد ما تحوية الآثار الأدبية من حمولات فكرية تعبّر عن نظم الثقافة السائدة.

في ضوء ما تقدم فإنّ مفهوم النسق الثقافي هو مصطلح توّلد من التقاء مفهوم النسق مع مفهوم الثقافة وهو يشمل النظم الاجتماعية والدينية والسياسية والثقافية المتفاعلة فيما بينها التي يكتسبها الانسان في مجتمع ما[1].

إنّ للأنساق الثقافية على اختلافها وتنوعها في النص الأدبي أهمية بالغة في انتاج الدلالة على أساس أنّ هذه الأخيرة تعبّر عن نظام ثقافي منغرس في ثنايا النص، فالأكيد أنّ الدلالة النسقية والجمل الثقافية لا تظهر بشكل جليّ في النص لأنها لا تنتج عن قصدية المبدع، إنّ «النسق الثقافي يظهر ويتكشف داخل نصوص الثقافة بمعزل عن قصدية الذات المنتجة لتلك النصوص، فالنسق لا يكون وعيا يتمظهر عبر خطاب فاعل، بل هو ممارسة لها خصوصيتها من التغلغل والتأثير والهيمنة في غفلة من الذات، ولذا نجد علاقة مراوغــة ومعقدة بين الذات المبدعة والأنساق الثقافية المهيمنة، فالأنساق الثقافية رهائن ذاتها لا تخرج عنها ولا تتجاوزها، أما الذات المبدعة تعي ذاتها وتعي الأنساق ثانيا»[2].

الأنساق الثقافية نظام متواصل ومتوارث تنتقل من جيل على آخر عن طريق التكرار أو الممارسة بشكل لا شعوري، غير قصدي وغالبا ما تكون خفية لا تظهر بوضوح في النص ولكنها تسعى إلى تحقيق أهداف مضمرة تعززها الثقافة السائدة.

إنّ القراءة الثقافية للنصوص الأدبية هي آلية تعمل على قراءة النص وفق معطيات الثقافة السائدة في المجتمع لهذا «تسعى القراءة الثقافية إلى إعادة قراءة النصوص

(1)- ينظر: جاسم حميد جودة الطائي/ هبة محمد صكبان، الأنساق الثقافية في أدب وادي الرافدين - مجلة جامعة بابل - العلوم الإنسانية، المجلد 23-ع4-2015- ص 178.

(2)- عبد الله حبيب التميمي/ سحر كاظم حمزة الشجيري، دونية المرأة في المجتمع الجاهلي وفوقيتها في الشعر، مجلة جامعة بابل - العلوم الإنسانية، المجلد 22-ع2-2014- ص-318.

الأدبية في ضوء سياقاتها التاريخية والثقافية، حيث تتضمن النصوص في بناها أنساقا مضمرة ومخاتلة قادرة على المراوغة والتقنع ولا يمكن كشفها أو كشف دلالاتها النامية في المنجز الأدبي إلاّ بإنجاز تصوّر كلّي حول طبيعة البنى الثقافية للمجتمع »[1].

فالنص الأدبي - وفق هذا المنظور- يغدو دالا على الثقافة ويستمد قوّته بحلول المدلول وحضوره فيه، وهو كذلك مادة ثقافية تختزل السلوكيات والممارسات والمفاهيم الثقافية السائدة في عصر المبدع والعصور السابقة في لغة مراوغة لا تستقر على معنى[2].

يعدّ عبد الله الغذامي أكثر النقاد العرب الذين تبنوا فلسفة النقد الثقافي، وعنوا بتطبيق آلياته ومبادئه على الثقافة العربية كما يعدّ كتابه "النقد الثقافي/قراءة في الأنساق الثقافية العربية" كتابا مثيرا حيث تولى بجرأة طرح فكرة النقد الثقافي طرحا جدّيا، كما أصل لهذه الفكرة نظريا ومعرفيا وممارسة. فقد جعل منه مدخلا لفهم العيوب النسقية في الشعر العربي -بصفته ديواننا- والخطاب الأبرز للأمة العربية، عبر تتبع منافذ هذه العيوب في كتب التاريخ ومدوّنات الشعر، حتى ينتهي للشعر المعاصر وقضية الحداثة.

لقد ظهر استيعاب الناقد لكل ما طرح على الساحة العالمية في الموضوع، ولعل أهم ما طرحه الغذامي ضمن أسئلة النقد الثقافي تنبيهه لضرورة مراجعة الكثير مما كرسه النقد الأدبي عبر عصور التراث العربي السابقة مع الاستعانة بأليات النقد الأدبي طبعا، فـ «الرابط الوحيد الذي يربط مجال النقد الثقافي بالدراسات الأدبية هو اتخاذ كليهما النص الأدبي مجال عمل، غير أن النص في مجال النقد الثقافي لا يعامل - كما يزعم الغذامي- إلا بصفه حامل نسق ولا يُقرأ النص لذاته ولا لجماليته، وإنّما نتوسل بالنص لنكشف عبره حيل الثقافة في تمرير أنساقها»[3] لذلك فهو لا يكشف عن أي نوع من القطيعة مع الكثير من التصورات والمناهج بل يقيم حوارا معها[4].

(1)- يوسف عليمات، النسق الثقافي / قراءة في أنساق الشعر العربي القديم - عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1-2009- ص11.

(2) -ينظر : عبد الفتاح أحمد يوسف - قراءة النص وسؤال الثقافة، عالم الكتب الحديث، لبنان، ط1، 2009، ص15.

(3)- صلاح رزق، إشكالية المنهج في النقد الثقافي، مجلة علامات، ع51، م13، 2004، ص73.

(4)- ينظر : يحي بن الوليد، ملاحظات حول النقد الثقافي لعبد الله الغذامي، ص158.

على هذا الأساس يصبح النقد الثقافي أشمل وأوسع من النقد الأدبي، وإن استعان بأدواته ومرتكزاته. إنّه يسعى في النهاية إلى أن يضع النص تحت منظار الثقافة والأنساق الثقافية المضمرة، ليجعل النص الأدبي نص ثقافي بصورة أوسع وأشمل، وتأسيسا على ذلك أكدّ الغذامي أنّ الأنساق المضمرة في النصوص الشعرية خاصة، هي التي أنتجت مفاهيم الفحولة الشعرية التي من سماتها التعالي، وعشق الذات والتمايز بين الآخرين، واحتكار القيّم التي أنتجت، بدورها مفاهيم الفحولة السياسية، بما مارسته من طغيان سياسي واجتماعي عبر العصور.

هكذا يستند مشروع الغذامي إلى خبرة النقاد عبر الاعتماد على أطروحات غربية في النقد الثقافي للكشف على الأنساق المضمرة، وهو يمتص نظريات غربية ويتمثلها ويزيد عليها، وسعى للكشف عن أسس القناعات التي جعلت النسقية سائدة، وهو أيضا توصيف لهذه الأسس منبث في تضاعيف الكتاب برمته، وخلاصة مرماه تجلية العيوب التي تتغطى بالجمالي [1]

في الأخير تبقى دراسة الغذامي من الدراسات الهامة التي نحتاج إليها في الوقت الحاضر، فبراعة مؤلفه وقدرته الفذة على التعمق في رؤية مشكلات ثقافتنا العربية في صلاتها بمرجعياتها القديمة والحديثة، تمثلان مطلبا أساسيا لما نشهده في الوقت الراهن من تغيّر في طبيعة النظر إلى القديم والجديد وكيفية التعامل معهما.

2- مشروع الغذامي في ميزان النقد : لابّد أن نشير إلى أنّ الطرح الذي قدّمه الغذامي لا يخلو من انتقاد من قبل بعض الباحثين الذين أكدوا أنّه اعتمد على التأويل في أغلب الأحيان، حيث يذهب يحي بن الوليد إلى أنّ « التأويل هنا من حيث هو أفكار مسبقة تستبق نتائجه فعل القراءة ذاته، ومن هنا يمكن أن نفهم طابع التجزيء الذي يتخلل اختيار الأمثلة وذلك للتأكيد على صحة النتائج والبرهنة عليها » [2]

كما يؤكد في السياق نفسه على أنّ عبد الله الغذامي لم يتخلص من تأثير التفكيكية -أو التشريحية كما يترجمها-التي هيمنت على بعض دراساته السابقة مصرحا

(1)- ينظر : يوسف حامد جابر، قراءة نقدية لكتاب "النقد الثقافي" للدكتور عبد الله الغذامي، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد 09، 2012، ص2.

(2)- يحيى بن الوليد، ملاحظات حول النقد الثقافي لعبد الله الغذامي، ص165.

بأنّ : « إلغاء النسق يسير في اتجاه تأكيد "التشظي" الذي تدافع عنه التفكيكية، وما يسميه "الجملة الثقافية" التي يلخصها عند ابن المقفع " تصوير الحق في صورة الباطل" وعند جرير في "أنا الدهر" أشبه ما يكون (أي الجملة) بـ "المركز" الذي تسعى التفكيكية إلى نقضه وكشف تناقضاته وزرع الشك فيه ».[1] من هنا يصبح ما طرحه الغذامي - حسب الباحث - تابعا للمنهج التفكيكي لا النقد الثقافي .

كما سعى الباحث حسن ناظم إلى قلب كلّ المعادلة التي قدمها الغذامي ليطرح تساؤلا واضحا « لماذا يكون الشعر هو الذي أضمر العيوب في النسق الثقافي، ولا يكون النسق الثقافي هو الذي أضمر عيوبه في الشعر ؟ بمعنى آخر: لماذا لا يكون الشعر ضحية النسق الثقافي؟ ».[2]

من ثم فالغذامي -حسب الباحث - «يغلب قوة تأثير الأنساق الشعرية المضمرة على سواها، ويصب جام غضبه عليها من دون محاولة صب جام غضبه على الظروف التي ولدت هذه الأنساق، ومعظمها سياسية حتى ليبدو أنّ النسقية التي "شعرنت" فعالياتنا الثقافية والاجتماعية والوجودية قد تولدت من الفراغ . وإلحاحه على هذه الموضوعة يفوق كل إلحاح، فالمهمة الجليلة التي أخذها على عاتقه تعرية الأنساق التي تتحكم في حياتنا»[3].

يؤكد الباحث حسن ناظم في ضوء هذا الموقف على أنّ النسق الاجتماعي والسياسي والثقافي هو ما يحدد توجهات الشعر وجمالياته وقبحياته، والأنساق التي يضمرها وليس العكس، غير أنّ الغذامي - حسب الباحث - يبالغ في طرحه ويزيد الفحل فحولة والذات شعرنة والأنساق نسقية عبر تحليلاته، إنّه حريص الحرص على حبك سلة واحدة يلقي فيها جميع مصائبنا الثقافية، وبدلا من توزيع المسؤوليات ثقافية وغير ثقافية كل بحسب مقدار مساهمته، كانت له القدرة على ترويع إحداها لا ليتعظ الباقي، وإنّما ليرضى هذا الباقي ولاسيما المؤسسة السياسية[4].

(1)- المرجع نفسه، ص165.

(2) - حسن ناظم، النسقية العربية واللفظية العربية في الحداثة الشعرية، مجلة علامات، ج57، م15، 2005، ص198.

(3)- المرجع نفسه، ص198.

(4)- ينظر : المرجع نفسه، ص 197- 198.

في ضوء كلّ هذا يسعى حسن ناظم إلى تأكيد وجهة نظره من خلال قلب معادلة الغذامي وتسليط الضوء على مسؤولية النسق الثقافي عامة، والسياسي خاصة في ترسيخ العيوب التي حملتها الظاهرة الشعرية العربية، منها شخصية الشاعر الفحل.

كما نشير أيضا في هذا المقام إلى قراءة نقدية متميزة للباحث يوسف حامد جابر حول كتاب "النقد الثقافي" للغذامي أكد في ضوئها أنّ الغذامي « لا يكف عن إطلاق الأحكام التي تنقصها الدقة في كثير من المواضع سعيا وراء تأكيد مقولاته»[1].

إنّ الغذامي سعى من خلال كتابه إلى التأكيد على أنّ شخصية الشحاذ والكذاب والمنافق والطماع من جهة، وشخصية الفرد المتوحد فحل الفحول ذي الأنا المتضخمة هي من السمات المترسخة في الخطاب الشعري ومنه تسربت إلى الخطابات الأخرى، ومن ثم صارت نموذجاً سلوكياً ثقافياً يعاد إنتاجه بما أن نسق منغرس في الوجدان الثقافي مما ربى صورة الطاغية الأوحد " فحل الفحول"[2].

من هنا نجد الغذامي -وفق قراءة الباحث- « يبدأ بالنتيجة أولاً، ثم يقوم بعد ذلك بتدعيمها، وبث الروح فيها، مخالفاً في ذلك قواعد البحث العلمي، لأن البحث العلمي من مهامه أن يبدأ أولاً بتناول الظاهرة واستقراء مكوناتها، ومقاربة هذه المكونات للوصول إلى الأحكام والحقائق، وليس العكس، لأن في الاستقراء انتقالاً للفكر من الجزء إلى الكل، من دراسة النصوص إلى تكوين الحقائق العامة والسمات المشتركة التي تعد بمنزلة القوانين التي تكشف عن مفاصل هذه النصوص، وهذا لم يفعله الغذامي، مما يشعر بعدم علمية أحكامه »[3].

على هذا الأساس يصبح الغذامي مسقطا لأحكام مسبقة، عارضا للنتائج قبل التحليل والقفز على الجزء للوصول إلى الكل لإثبات النتيجة قصرا، وقد تمثل هذا بشكل واضح في طروحات النقد الثقافي الذي تبناه الغذامي، وجسده في تناوله البنية الثقافية العربية، ولا سيما الشعرية منها، دون تحليل موضوعي لبنية المجتمع العربي ولتحولاتها وظروف نشأتها.

(1)- يوسف حامد جابر، قراءة نقدية لكتاب "النقد الثقافي" للدكتور عبد الله الغذامي، ص 4.

(2)- ينظر : عبد الله الغذامي، النقد الثقافي / قراءة في الأنساق الثقافية العربية، ص93- 94.

(3)- يوسف حامد جابر، قراءة نقدية لكتاب "النقد الثقافي" للدكتور عبد الله الغذامي، ص4.

كما نجد الباحث ابراهيم محمود خليل يعلّق على طرح الغذامي بأن "النسق الشعري مسـؤول عن صياغة الذات العربية ": «قـول يحتاج إلى نظر وبيان، فللنثر في حياة العرب أثر أكبر بكثير من تأثير الشعـر، على أنّ مصادر التأثيـــر في الذات العربيــة متعددة ولا يمكـن أن نوافـق الغــذامي على ما يقوله بالنسبة للطريقـة التي صيغت بها هــذه الذات»[1].

ويشير الباحث نفسه إلى أن المنهج الذي يعتمده الغذامي في كتابه "النقد الثقافي / قراءة في الأنساق الثقافية العربية": «منهج غير علـمي إذ لا يكتفي بانتقاء مقطوعات ونصوص وتعميم ما جاء فيها على التـراث، ولكنه يلجأ إلى التفسير والتأويل العشوائي بحيث تتفق التأويلات مع ما يريد أن يقولـه»[2].

كما يذهب الباحثان سعد البازعي وميجان الرويلي في كتابهما "دليل الناقد الأدبي" إلى جملة من التعليقات حول بحث الغذامي في قراءته للأنساق الثقافية العربية وربطها بالظاهرة الشعرية العربية، مؤكدين على ثلاث مستويات في نقد هذه الدراسة : « الأول في مقدار التعميمية في قراءة الأنساق الذي يتحدث عنها، وهي أنساق محصورة في الجانب السلبي (تحوّل المديح إلى استجداء ونفاق، والفخر إلى تضخم للذات... الخ) والثاني بمحدودية الأمثلة وانحصارها في الأدب تقريبا، والشعر بشكل خاص، أما الثالث فيتمثل في غياب المقارنة الثقافية أو استحضار التجارب الثقافية لمجتمعات مختلفة أو حضارات مختلفة»[3].

يؤكد الباحثان أنّه مع احتواء الكتاب على شواهد كثيرة وقويّة في ما يتعلق بأطروحته، إلا أنّ فيه الكثير من التعميم القائم على تغييب الكثير من النماذج الشعرية التي تخالـف النسق الذي يرسمه للشعراء الرسميين "المنافقين" في تاريخ الثقافة العربيـة كالشعـراء الصعاليك والمتصوفة وشعـراء مثل: أبو نـواس وبشار وابن

(1) - ابراهيم محمود خليل، النقد الأدبي الحديث / من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، ط2، 2007، ص245.

(2) - المرجع نفسه، ص245.

(3)- ميجان الرويلي / سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3، 2002، ص310.

الرومي وأبـو العتاهية[1].

خاتمة:

إنّ مشروع الغذامي وعلى الرغم من جديته واحتكامه إلى منهج غربي في معالجته لقضايا موروثنا النقدي والحداثي، لا يمكن ردّه جملة وتفصيلا كما أنّ القراءة الثقافية تقوم أساسا على التوسعة المنهجية التي تأخذ من كل المناهج كالتفكيكية والتأويل وعلى مناهج السيميائيات وتحليل الخطاب ومختلف العلوك الإنسانية المحيطة بالأدب وتستفيد من كل الطروحات السياسية، الاجتماعية، الدينية، الأخلاقية ... وغيرها.

النقد الثقافي قراءة عميقة لنص الخطاب الأدبي يهدف دوما إلى قراءة النص تحت منظار الثقافة بشموليتها اللامحدودة، إنّه بؤرة تلتقي فيها جملة من التخصصات المعرفية التي تشكل روافد مهمة في استقصاء مضمرات الخطاب النسقية المتوارية خلف جمالياته الأدبية.

قائمة المراجع

المؤلفات:

1. ابراهيم محمود خليل- النقد الأدبي الحديث / من المحاكاة إلى التفكيك، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، الأردن، ط2، 2007.
2. جابر عصفور، في محبة الأدب، مكتبة الأسرة، مصر، 2003.
3. عبد الفتاح أحمد يوسف، قراءة النص وسؤال الثقافة، عالم الكتب الحديث، لبنان، ط1، 2009.
4. عبد الله الغذامي، النقد الثقافي / قـراءة في الأنساق الثقافية العربية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3 – 2005.
5. مصطفى الضبع، أسئلة النقد الثقافي، مؤتمر أدباء مصر في الأقاليم، مصر، 2003 .
6. ميجان الرويلي، سعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط3، 2002.
7. يوسف عليمات، النسق الثقافي / قراءة في أنساق الشعر العربي القديم، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2009.

(1)- ينظر : المرجع نفسه، ص310.

المجلات والدوريات:

1. جاسم حميد جودة الطائي/ هبة محمد صكبان – الأنساق الثقافية في أدب وادي الرافدين - مجلة جامعة بابل - العلوم الإنسانية – المجلد 23-ع4-2015.

2. حسن ناظم، النسقية العربية واللفظية العربية في الحداثة الشعرية، مجلة علامات، ج57، م15، 2005.

3. صلاح رزق، إشكالية المنهج في النقد الثقافي، مجلة علامات، ع51، م13، 2004.

4. عبد العزيز حمودة، المرايا المحدبة / من البنيوية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، العدد252، الكويت، 1997.

5. عبد الله حبيب التميمي/ سحر كاظم حمزة الشجيري، دونية المرأة في المجتمع الجاهلي وفوقيتها في الشعر، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، المجلد 22، ع2، 2014.

6. عبد الله حبيب التميمي/ سحر كاظم حمزة الشجيري، سيرورة النقد الثقافي عند الغرب، مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية، المجلد 22، ع1، 2014.

7. يوسف حامد جابر، قراءة نقدية لكتاب "النقد الثقافي" للدكتور عبد الله الغذامي، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد 09، 2012.

المواقع الالكترونية:

جميل حمداوي، النقد الثقافي بين المطرقة والسندان، مقال نقدي في الموقع الالكتروني:
http//www.diwanalarab.com نشر بتاريخ 2012/07/08.